متانة التعبير اللغوي وجمالياته في كتابات محمد الهادي الحسنى

مقالات الشروق اليومي أنموذجا (2010-2000)

الأستاذ/ قويدر قيطون

جامعة الوادي/الجزائر

تمهيد.

من المعلوم أن اللغة تتحجّر، بل تموت إذا لم تستعمل، وإذا تخلّى عنها أهلها لصالح لغات أخرى أو لهجات متولدة عنها، وعلى العكس، تتطوّر إذا استعملت، فهذان قانونان ينطبقان على جميع اللغات. فلقد ماتت لغات قديمة حلّت محلّها اللهجات المتولدة، مثل اللغة اللاتينية التي لم تعد تستعمل إلاّ في بعض الكنائس القليلة لقراءة نصوص مقدّسة لا يفهمها إلاّ الراسخون في علم اللاهوت، إلا أن اللغة العربية، بقيت لغة حية لم تمت، بفضل عوامل عديدة ساهمت في بقائها حيّة تُستعمل في عديد المجالات، كما أنها برهنت على أن كلّ لغة لا يمكن أن تكون عقيمة في حدّ ذاتها، وإنّما المسؤولون عن العقم - إن اعتراها - هم أهلها وحسب .

أما اللغة العربية فقد تضافرت عوامل عدة ساعدت على بقائها، و أوّل هذه العوامل التي ضمنت استمرار اللغة العربية هو القرآن الكريم، حيث إن تلاوة القرآن في حدّ ذاتها لها دور مهم يتمثل في جعل العربية مألوفة لسمع العربي، بالإضافة لكونه مرجعا لغويا مثاليا يستند إليه اللغويون.

كما أن من عوامل استمرار اللغة العربية، أنّها ليست لغة الاستعمال اليومي في البيت والشارع والسوق؛ لأنّ لغة التخاطب معرّضة في كلّ حين للتغيير والتحريف طبقا لقانون الاقتصاد في المجهود الذي يقود إلى الاختصار والحذف، وتخفيف ما قد يبدو ثقيلا في النطق.
ومن أهم الأدوات الحديثة العهد لإحياء اللغة ونشرها، هي الوسائط المكتوبة من صحافة ومجلاّت، خاصّة الوسائط الشفوية، فهي توفر انتشار اللغة وتضمن الألفة في سماعها؛ لذا ينبغي أن نولي لغة الصحافة ولغة الوسائط

بصفة عامة كلّ الاهتمام، لأنّها في نهاية الأمر هي الشاهد الأول على حيوية اللغة العربية.

لقد كانت اللغة ومازالت، كائن حي ينمو باضطراد، وهي تعد من أعظم الميزات التي يتميز بها البشر عن سائر الكائنات الحية الأخرى، فبواسطتها يتم التفاهم والتعبير عن خلجات النفس الإنسانية، وما تبتغيه او ترفضه، ومن خلالها يمكن اختزان العلوم والثقافات، وتوارثها من جيل لآخر.

1-الصحافة واللغة.

ولغة الصحافة من اللغات العملية التي تمتاز بالسهولة والسلاسة في التعبير، لتصل إلى كل العقول مهما اختلفت مستوياتها الثقافية والفكرية، وهي تختلف عن لغة الأدب ولغة العلم، التي لا يفهمهما غير المختصين بهما.

وعلى الرغم من أن الصحافة ظلت كما هي من حيث الشكل لا المضمون من زمن طويل، على شكل صفحات من ورق مطوى، تحمل الأخبار والتحقيقات والتعليقات والصور والرسوم والعناوين والإعلانات وغيرها، فقد استطاعت البقاء في ميدان المنافسة، بل الازدهار وسط غابة مليئة بأشواك متنوعة تمنع تقدمها والتي على رأسها القنوات الفضائية والانترنيت، والتي استخدم أصحابها كل وسائل التقنية الحديثة في إيصال الخبر إلى المتلقي.

ومع أن شكل الصحيفة لم يزد كثيراً عن مثيله في بداية عهدها، اللهم إلا صورة ملونة هنا، وأوراق مصقولة هناك، او على أقصى تقدير طباعة بـ(كومبيوتر) الا انها ظلت في نظر القراء ذلك الجسم المطبوع بنفس الحروف

والأشكال المختلفة، فما بين المتن والصورة لم يتغير الشيء الكثير عبر العقود الطويلة المنصرمة، لكن الذي تغير حقاً في الصحيفة هو المضمون، أي محتوى الصحيفة، من حيث اللغة والأسلوب، ليلائما روح العصر، فما هي هذه اللغة التي استطاعت الإبقاء على هذه الوسيلة الحيوية، التي تؤثر تأثيراً فعالاً في الرأي العام ، وتقوده إلى الوجهة التي تريد؟

إن للصحافة لغة خاصة، وأسلوب خاص متفرد داخل إطار اللغة ذاتها، وقد وصف علم من أعلام الصحافة الغربية البريطاني (رافييل ديغو) كما ذكر (إبراهيم الإمام) في كتابه (دراسات في الفن الصحفي) هذا الأسلوب في قوله: إذا سألني سائل عن الأسلوب الذي اكتبه، قلت انه الذي إذا تحدثت به إلى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافاً عظيماً في قواهم العقلية عدا المجانين فإنهم جميعا يفهمون ما أقول.[1]

وفي هذا المعنى يكتب (عبد الله النديم) في العدد الأول من صحيفة (التنكيت والتبكيت) كما ذكره (علي الحديدي) في كتابه (سلسلة أعلام العرب - الجزء التاسع) قائلاً: "انني لا أريد من هذه الصحيفة ان تكون منمقة بمجازات واستعارات، ولا مزخرفة بزخارف قصور السلاطين، ولا مفتخرة بفخامة لفظ وبلاغة عبارة، ولا معربة عن غزارة علم وتوقد ذكاء، ولكن بأحاديث تعودناها، ولغة الفنا المسامرة بها، لا تلجئ إلى قاموس (الفيروز آبادي) ولا تلزم مراجعة التاريخ، ولا تضطر لترجمان يعبر عن موضوعها، ولا شيخ يفسر معانيها، وانما هي في مجلسك كصاحب يكلمك بما تعلم، وفي بيتك كخادم يطلب منك ما تقدر عليه، ونديم يسامرك بما تحب وتهوى »[2]

من خلال الرؤية المتفحصة إلى ما آلت إليه الكتابات الصحافية العربية اليوم ,بعد أن تأثرت مباشرة وغير مباشرة بلغات الصحافة في العالم أساليبها

ونظرياتها, يمكن التأكيد أن لغة الصحافة ليست أدبية, وإن كانت فيها بعض المجالات المتخصصة أدبيا, حيث يبقى فيها الأسلوب الأدبي مكانة وفعلا. لقد ولى زمان المباهاة بالقدرة البلاغية التي نجد صورة عنها في افتتاحية جريدة "الوقائع" المصرية في أول عدد لها الصادر عام 1828 ومطلعها: "الحمد لله باري الأمم والسلام على سيد العرب والعجم, أما بعد, فإن تحرير الأمور الواقعة في اجتماع بني آدم, متدبجين في صحيفة هذا العالم, ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ومعاشرتهم التي حصلت من احتياج بعض بعضا, هي نتيجة الانتباه والتبصر والتدبير والإتقان وإظهار الغيرة العمومية, وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان."[3] وولى زمان الكتابة الجبرانية (جبران خليل جبران) التي نقدم نموذجا عن مقالة منها نشرت في مجلة "الفنون" المصرية ونقلتها عنها مجلة "الهلال" عام 1917 "ماذا عسى يقدر المنفي البعيد أن يفعل لأهل الجائعين؟ ليت شعري, ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه.

لو كنت سنبلة من القمح نابتة في تربة بلادي لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بحياتي يد الموت عن نفسه.

لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي لكانت المرأة الجائعة تناولني وتقضمني طعاما.

لو كنت طائرا في فضاء بلادي لكان الرجل الجائع يصطادني ويزيل بجسدي ظل القبر عن جسده.

ولكن, وأحر قلباه, لست بسنبلة من القمح في سهول سوريا ولا بثمرة يانعة في أودية لبنان. وهذه نكبتي؟؟."

ولغة الصحافة ليست علمية بحتة, وإن أفادت من موضوعية اللغة العلمية وبعض أساليبها أو كانت هناك بعض المجالات المتخصصة علميا. إنها اللغة العملية .نعني بها التي يتداول الناس مفرداتها وتراكيبها وأساليبها في ندواتهم واجتماعاتهم وحياتهم اليومية وقد صيغت في قالب فصيح[4].

وفي دراسة أجراها معهد العلوم الإحصائية في هولندا تبين أن 68 في المائة من المفردات والتراكيب التي يتلفظ بها السياسيون والاجتماعيون والاقتصاديون والتربويون في اجتماعاتهم أصبحت جزءا من لغة الناس اليومية وإن خالطها بعض التحريف, كما تبين أن جمهور العامة من أصحاب الحرف الصغيرة والعمال وصغار الموظفين والأجراء المداومين يتعاملون في مناقشاتهم وحواراتهم العادية بـ56 في المائة من هذه المفردات والتراكيب دون أن يفقدوها معانيها العامة.

ويبدو أن هذه المفردات والتراكيب خرجت من نطاقاتها المحدودة والمغلقة إلى الآخرين عن طريق وسائل الإعلام فأصبح هناك تعميم وتوزيع.[5]

إن القارئ أمام الصحيفة سيد الموقف, فهو قادر على تحديد وقت القراءة ومدتها ,ولديه الفرصة الكافية لإعادة قراءة المرسلة الإعلامية خبرا كان أو مقالا أم ريبورتاجا أم يوميات... والتوقف عند مقاطع معينة أو جمل معينة أو مفردات معينة وصولا إلى فهم ما يمكن أن يكون قد فاته فهمه في أثناء القراءة السريعة أو القراءة الأولى. وهذا كله له فعله وتأثيره في كاتب المرسلة وفي القارئ على حد سواء.

فالأول(أي الكاتب) أصبح مدركا أنه قادر على التأني في صياغة مادته، وعلى تحاشي التكرار والإطناب - إذا أراد ذلك - والاعتماد على فطنة القارئ وقدرته على الربط والتحليل .

والثاني(أي القارئ) صار متيقنا أن المرسلة(=كل مادة إعلامية هي مرسلة) هي ملك له ولا ضرورة للتسرع في استقبال ما يقرأه.

الواقع أن كون المرسلة الصحافية مكتوبة, لا يخالطها صوت ولا صورة متحركة ناطقة ,يدفع القارئ إلى أن يكون مشاركا إيجابيا في عملية الاتصال الإعلامية. إنه لا يكتفي بالتلقي السريع المفروض بل يفكر ويتخيل - إذا أراد ذلك - فيتمتع بلذة الاكتشاف والموازنة وتصور المواقف والأحداث والتعمق.

وماذا أردنا أن نسأل ماهو الفرق بين لغة الإعلام ولغة الأدب؟ الجواب لهذا السؤال ينبغي لنا أن نفرق بين الإعلام و الأدب فالإعلام مهنه لها لغتها الخاصة وأساليبها ورجل الإعلام له أسلوبه بمعنى أن أسلوبه عملي، علمي ، لا بمعنى العلم ، وانما بمعنى أن أسلوبه مقابل للأسلوب الأدبي، ألفاظه ليست مقصودة لذاتها فهي بعيدة عن الدلالات المجازية وهي مرتبة بمنطق علمي سليم ودقيق وموضوعي تنقل الحقائق لا التجارب الذاتية، وبأبسط الأساليب اللغوية الميسرة والمعبرة .أما الأدب فهو فن ولغته ذاتية تعتمد التصوير والإيحاء واللغة الموسيقية واستخدام المجازات والبديع والإطناب والمحسنات اللغوية وهو يستهدف تكوين الفرد المعنوي للتأشير فيه من خلال التأمل ،والفارق بينها كبير فالإعلام أداته الكلمة وهي وسيلة لنقل الخبر الذي هو صلب العمل الإعلامي ويأتي بعدها الصورة والرسم الكاريكاتيري ، فالكلمة لا تطلب لذاتها .أما الأدب فأداته الكلمة وهي تطلب في

ذاتها لأنها جوهر التعبير ونبضه وأن فقدها انهار ، والإعلام مهنه والأدب فن والفرق بين المهنه والفن هو الفرق بين الإعلامي والأديب_ [6]

1-التعريف بالأستاذ محمد الهادي الحسني.

الاسم والنسب: محمد الهادي بن عبد الوهاب (المدعو محمد الصالح) الحَسَنِي.
تاريخ الميلاد ومكانه: 1947/09/05م. بن ياجيس. دائرة جيملة –ولاية جيجل-.
السيرة العلمية:

- الدراسة الابتدائية: مدرسة قلصده، ثم مدرسة الحياة بمدينة جيجل.
- الدارسة الإعدادية: ثانوية ابن خلدون، ثم ثانوية عبّان رمضان بمدينة الجزائر.
- الدراسة الثانوية: ثانوية الشويخ بدولة الكويت.
- الدراسة الجامعية: كلية الآداب (قسم التاريخ) بجامعة الجزائر.

المهام والوظائف:

- رئيس مصلحة الكتاب العربي بمديرية النشر بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع (SNED).
- رئيس قسم التراث بالمؤسسة الوطنية للكتاب (ENAL).
- منتدب للدعوة بمسجد باريس، وإمام جمعة (1986-1988م).
- نائب مدير مكلف بالتراث بوزارة الشؤون الدينية.
- مدير الثقافة والملتقيات بوزارة الشؤون الدينية.
- رئيس تحرير مجلة الموافقات، التي أصدرها المعهد الوطني العالي لأصول الدين –الجزائر-.
- نائب رئيس تحرير جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- عضو المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مكلف بالثقافة والإعلام من 1999 إلى 2007م، تاريخ الانسحاب من الجمعية.

الأعمال المنشورة:

- من وحي البصائر.
- أشعة الشروق.
- الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة.
- المشاركة في جمع "آثار الإمام ابن باديس" وتصحيحها (الأجزاء 3،4،5) رفقة الأستاذ محمد الصالح صديق.
- المشاركة في جمع "آثار الإبراهيمي" (5 أجزاء) رفقة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.

الاهتمامات والمتابعات:

- تاريخ الجزائر، خاصة الفترة الاستعمارية.
- عمليات التنصير الجارية في الجزائر، وهو أخطر ما يهدد مستقبل الجزائر ووحدتها.
- متابعة ما يُنشر وما يذاع في الغرب عن الإسلام.

النشأة والدراسة:

- أول أشياخه هو "الشريف مهرهرة" الذي قرأ عليه نصيبا من القرآن الكريم، وكان يقيم في منزلهم، ليعلّم أبناء الأسرة والقرية بشكل عام.
- في سنة 1956م هدم الجيش الفرنسي منزلهم فانتقل وأسرته إلى مدينة جيجل، وأدخل "مدرسة قلصده" –وهي عبارة عن حجرة واحدة عديمة التهوية، كريهة الرائحة. وكان معلمه هو الشيخ "مصطفى عباده" –أحد تلاميذ الإمام ابن باديس-.

ثم انتقل إلى مدرسة الحياة للبنات، وكان يعلمه فيها: الشيخ "عمار مزراق"، أما المدير فكان العالم الجليل: محمد الطاهر ساحلي (الجيجلي) الذي أُطلق عليه اسم: ابن باديس الصغير. (مدرسة الحياة للبنين، استولى عليها الجيش الفرنسي، وكِلتا المدرستين أسّستها جمعية العلماء).

- أتمّ السّلكة الأولى للقرآن الكريم في نهاية 1959 على يد والده – رحمه الله-
- بعد مواصلته الدراسة لسنتين، في المدرسة السالفة الذكر، ونظرا لظروف متعلقة بالثورة، لم يتمكن من إجراء امتحان الشهادة الابتدائية، فبقي يعيد السنة النهائية من التعليم الابتدائي، ولم يكن له ورفاقه خيار آخر، فامتحانات الشهادة لم تكن لتجرى، ومعهد ابن باديس قد أُغلق.
- بعد استعادة الجزائر للاستقلال، سجله الوالد في معهد ابن باديس بقسنطينة، ولكن أخاه الأكبر "محمد الربيع" فضل أن يأخذه إلى مدينة الجزائر، فسجل في سبتمبر 1962 في مدرسة بحي المرادية "لارودوت"، و هي أيضا تابعة لجمعية العلماء، وكان "الشيخ محمد الطاهر ساحلي" قد سلّمه شهادة إثبات مستوى وتزكية من مدرسة جيجل.
- في بداية 1963 أجريت مسابقة للدخول إلى السنتين الأولى والثانية إعدادي في الثانوية المعرّبة الأولى في مدينة الجزائر، وهي ثانوية "ابن خلدون"، التي كان موقعها في "حي بلكور"، وهي من تأسيس جمعية العلماء أيضا، وكان مدير الثانوية هو الشيخ "عبد المجيد حيرش".

كان مستوى التلاميذ وتوجيههم تحكمه وتحدّده مادة الإنشاء، فمن كان إنشاؤه حسنا وُجِّهَ إلى السنة الثانية، وإلاّ سُجِّل في السنة الأولى. وقد نجح إلى

السنة الثانية 15 تلميذا، الحسني واحد منهم. ونظرا لقلّة الناجحين إلى السنة الثانية أُلحق جميع الممتحَنين بالسنة الأولى.

- وفي السنة الدراسية 1963-1964 انتقل إلى ثانوية عبان رمضان لتوفرها على النظام الداخلي، وكان من أبرز من درس عليهم في هذه السنة (الثانية إعدادي) الأستاذ "عبد الحفيظ بدري –رحمه الله-". يشهد الأستاذ وقد بلغ من العمر ما بلغ، والتقى بطائفة من العلماء في الجزائر وفي غيرها، واستمع إلى الكثير من العلماء والأدباء، أنّه ما سمع أفصح لسانا من هذا الأستاذ.

- في السنة الدراسية 1964-1965 درس وبعض الزملاء برنامجين في سنة واحدة، برنامج السنة الثالثة إعدادي وبرنامج السنة الرابعة، للمشاركة في امتحان شهادة الأهلية، وكانوا يراجعون الدروس ليلا في دورات المياه، لأن الأضواء تُطفأ على الساعة العاشرة، وقد وفق الله –سبحانه وتعالى- أغلب زملائه، فحصلوا على الشهادة وانتقلوا من السنة الثالثة إلى السنة الرابعة إعدادي، إلاّ أن إدارة الثانوية التي كانت قد وعدت الطلبة في وقت سابق بأن تسمح لهم الانتقال من السنة الثالثة إعدادي إلى السنة الأولى ثانوي، إن هم نجحوا في الشهادة الأهلية، أخلفت موعدها.

- في بداية سنة 1966 حصل على منحة دراسية إلى الكويت عن طريق وزارة التربية في الجزائر، فالتحق بثانوية الشويخ، وحصل منها على شهادة الباكلوريا –الفرع الأدبي- في جوان 1969. وأهم ما استفاده من الكويت تخصيص الجزء الأكبر من المنحتين –الجزائرية والكويتية- لشراء الكتب، والمجلات الثقافية، لأن دولة الكويت الشقيقة كانت توفر لهم الإطعام، والإيواء، والكتب الدراسية، والكراريس، وبذلتين سنويا. كما لا ينسى فضل

الأستاذ "محمد عبادة" الذي سهّل له صعوبة اعترضته في وزراة التربية الوطنية، ولولاه –بعد الله- لما تمكن من السفر، كما أنه استخرج له جواز سفر من ولاية الجزائر في أقل من ساعة.

- قرر العودة إلى الجزائر بعدها، على الرغم من أن فرصة الدراسة بمصر كانت متاحة له، فسجّل في كلية الآداب بجامعة الجزائر، واختار قسم التاريخ، فتخرج فيها عام 1972. ومن الأساتذة الذين تأثر بهم واستفاد منهم الكثير، ولم تنقطع صلته بهم، فضيلة الشيخ أحمد حمّاني، ود. الهاشمي التيجاني، و.د موسى لقبال –رحمهم الله-، ود. أبو القاسم سعد الله - حفظه الله-.
- بعد التخرّج فضل أداء واجب الخدمة الوطنية، فالتحق بالكلية العسكرية لمختلف الأسلحة بشرشال، وتخرّج فيها ضابطا احتياطيا برتبة ملازم، فعيّن في مدرسة صفّ الضباط بالبليدة (حُوّلت إلى المدرسة الوطنية لتكوين ضباط الاحتياط)، فمارس مهام نائب قائد كتيبة، ثم قائد فصيلة، ثم قائد "كَرْدُوس" (فصيلتان). ثم رُقّيَ في 1979 بعد فترة تربص إلى رتبة ملازم أول احتياطي وكان الأول في هذه الدّفعة.
- اختار –بعد أداء الخدمة الوطنية- أن يعمل في الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (SNED)، فعيّن رئيس مصلحة الكتاب العربي بمديرية النشر. وكان أول كتاب مخطوط قرأه، وقدّم تقريرا عنه، وتوصية بطبعه، هو كتاب "الصحف العربية في الجزائر" للدكتور: محمد صالح ناصر، ولم يكن قد تعارفا أو التقيا. ثم رقّي إلى رئيس إلى قسم. وقد ساعده كثيرا العمل بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع، في التعرف على النخبة العالمة و المثقفة في الجزائر وغيرها، وجلّهم أصبحوا أصدقاء له بعد ذلك، للإشارة هذه المؤسسة كانت الوحيدة التي تنشر وتوزع الكتاب في البلد.

- أُنتُدِبَ في سنة 1986 للعمل في "مسجد باريس"، الذي كان عميده فضيلة الشيخ "العباس ابن الحسين"، ونائبه الأخ الدكتور "عبد الرزاق قسوم"، وكان مقررا أن يُعْهَدَ إليه الإشراف على مجلة لتعريف الجالية المسلمة بالإسلام، وحال دون ذلك أمور. وقد كلّفه فضيلة الشيخ العباس بإلقاء خطبة الجمعة وإمامة المصلّين بالتناوب مع الشيخ "عبد المحسن سليم"، المنتدب من الأزهر لمسجد باريس.

- رجع إلى الجزائر نهاية سنة 1988، ورأى بعض الإخوة أن يلتحق بوزارة الشؤون الدينية، فعيّن نائب مدير مكلف بالتراث، وكان مديره هو الأستاذ الفاضل "عبد الوهاب بن حمودة"، ثمّ خلفه على رأس مديرية الثقافة الإسلامية والملتقيات عندما عيّن هو أمينا عاما للوزارة.

- في شهر أفريل 1992 ترك وزارة الشؤون الدينية، والتحق بالمعهد الوطني العالي لأصول الدين، حيث رأى مجلسه العلمي أنّه قد يكون أكثر فائدة في التعليم منه في الإدارة.

- اقترح عليه الأخ د. عبد الرزاق قسوم المغرم بإنجاز الأعمال المتميزة، أن تُنشأ بالمعهد مجلة سنوية أطلق عليها اسم: "الموافقات"، إعجابا منه بالشاطبي صاحب الموافقات، فألزمه أن يكون رئيس تحريرها، فاجتهدا أن تكون المجلة ذات وزن وقيمة بالإمكان المباهاة بها أمام مجلات العالم العربي، فكانت كذلك. وتلقّى المعهد رسائل من شتى الجامعات: السودان، ماليزيا، السعودية، تركيا، الكويت، المغرب, يطلبون تمكينهم من المجلة. وكتطوير للمجلة خُصص بداية من عددها الثاني ملف تعريفي بعالم جزائري. ولقيت الفكرة استحسانا كثيرا من القراء. وبعد استقالة د.عبد الرزاق قسوم من المعهد. تحوّل اسم المجلة إلى "الصراط".

• قدّر الله –عزّ وجل- أن يكون أحد المساهمين في إعادة بعث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فعُيّن عضوا في مكتبها الوطني، مكلّفا بالثقافة والإعلام، كما ساهم في إعادة نشر جريدة البصائر التي كان فضيلة الشيخ "عبد الرحمن شيبان" مديرها، والدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس تحريرها، وكان نائبا له، وكان من أنشط العاملين معهم، وأفضلهم علما وخلقا الأستاذ "محمد بن موسى باباعمي"، ولم يكن قد "تَدَكْتَرَ". وقد انسحب من الجمعية في سنة 2007.

• بعد انسحابه من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وظيفيا، تفرغ للتدريس إضافة إلى العمل الدعوي في المساجد والجامعات والمراكز الثقافية والتلفزة والإذاعة وغيرها... ، حول الفكر الإسلامي وتاريخ الجزائر ولا يزال إلى يومنا الحاضر هذا أثر في حياته:

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

• كانت أول مرة يراه فيها يوم: 02 نوفمبر 1962. حينها لَمّا يبلغ الحلُم بعد، وهو على كتف والده الذي اصطحبه لحضور افتتاح "مسجد كتشاوة" مرة ثانية، بعد استرجاعه من المستعمر الفرنسي الذي كان قد حوله لكنيسة, توالت الأيام، وهو في الداخلية بثانوية عبان رمضان ذات مساء، إذ به يسمع على المذياع خبر وفاته، وإلى اللحظة لم يعر له أي اهتمام، إلى حين مطالعة كتابه –رحمه الله- بعنوان: عيون البصائر. ومن ثمّ بدأ يكتشف قوة تلك الشخصية وآثارها شيئا فشيئا، حتى أصبح يتلذّذ كثيرا بكلامه، فأدرك أنّ فكر الإبراهيمي ليس بالعادي. ويشهد له بـ: فحولة في المواقف، متانة في العلم، وروح السخرية والاستهزاء بالاستعمار.

ومذ عرف قيمة الإبراهيمي لم يسافر داخل الوطن أو خارجه، إلا و كتاب عيون البصائر يصحبه، ليهديه من يراه أهلا لأن يقرأ الإبراهيمي.

مواد درّسها:

- الحركة الوطنية ومواثيق الثورة. بمعهد اللغة والأدب العربي – جامعة الجزائر- (1978-1985).
- الحضارة الإسلامية. بنفس المعهد.
- السيرة النبوية.
- الاستشراق.
- تاريخ الجزائر الحديث.
- حاضر العالم الإسلامي.

(المواد الأخيرة هذه درّسها بكلية العلوم الإسلامية –جامعة الجزائر-)

الآثار الفكرية والعلمية:

الأعمال المنشورة:

- من وحي البصائر.
- أشعّة الشروق.
- الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة.
- المشاركة في جمع "آثار الإمام ابن باديس" وتصحيحها (الأجزاء 3،4،5) رفقة الأستاذ محمد الصالح صديق.
- المشاركة في جمع "آثار الإبراهيمي" (5 أجزاء) رفقة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.

أعمال في طريق النشر:

- نجومٌ ورجومٌ، وهي المقالات المنشورة في جريدة الشروق اليومي منذ 2005.
- الإمام محمد البشير الإبراهيمي. (مجموع ما كتبه عن الإمام الإبراهيمي).
- الإمام محمد بن علي السنوسي وحركته. (بحث أُعدّ لنيل شهادة الماجستير).
- سيرة المصطفى –صلى الله عليه وسلم- (دروس أُلقِيَت على طلاب السنة الأولى بكلية الشريعة).
- الاستشراق (دروس ألقيت على طلاب السنة الرابعة –أصول الدين- بكلية الشريعة).
- لماذا اعتنقت الإسلام؟ (جمع لما كتبه تحت هذا العنوان عن أشخاص هدى الله قلوبهم للتقوى، وشرح صدورهم للحق).

أعمال في طور الإعداد:

- العواصم الجزائرية عبر التاريخ.
- "في الميزان". (تقديم وتعليق على مقالات للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، تناول فيها شخصيات من جمعية العلماء).

من المؤلفات التي قدم لها الأستاذ:

- عمر راسم-د. محمد صالح ناصر-.
- الرافضون عبر التاريخ –محمد الصالح صديق-.
- في بلاد العجم –محمد الطاهر الأدغم-.
- المجاهد محمد صالح صديق بين صرير الأقلام وقعقعة السلاح – أ. إسماعيل ميرة-.
- من هدي الإسلام –الشيخ عبد الرحمن شيبان-.

- عبد الرحمن الثعالبي والتصوف –عبد الرزاق قسوم-.
- الألفية الفقهية على مذهب السادة المالكية –زيد الخير مبروك-.

المقالات:

مما جاد به قلمه في الصحف والمجلات، إضافة إلى ما سبق من مساهمات في جريدة البصائر-لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين-:

- مشاركات عديدة في جريدة الشعب.
- مشاركة في مجلات منها: مجلة الثقافة، مجلة الأصالة ... الخ.
- كان شاهدا ومشاركا في جريدة الرسالة التي صدرت في 1980م.
- ساهم في إحياء جريدة العصر الأسبوعية.
- مقالات في جرائد عدة منها: المساء، العصر،الجزائر اليوم، الشروق العربي، الشروق اليومي ... الخ.

نشاطات أخرى:

- أحاديث وندوات تلفزيونية وإذاعية.
- دروس مسجدية في مختلف مساجد الجزائر.
- المشاركة في الإشراف على مجلة "الرسالة" التابعة لوزارة الشؤون الدينية (1979).
- المشاركة في الإشراف على جريدة "العصر" التابعة لوزارة الشؤون الدينية في سلسلتها الثانية.

. المشاركة في العديد من الملاقيات الوطنية والدولية

أعمال كُتبت عنه:

- قدّمت مذكّرتا تخرج عن طريقة الحسني وأسلوبه في الكتابة، إحداهما في جامعة البليدة، والأخرى في جامعة تلمسان. وقد أُخبِر الأستاذ (في رسالة

مؤرّخة في 2009/04/15) أنّ الدكتور "حامد صادق قُنَيْبِي" الأستاذ في كلية الآداب –قسم اللغة العربية- بجامعة الإسراء في الأردن، أنّه يُعِدُّ بعدما اطّلع على كتابَي "من وحي البصائر" و"أشعة الشروق"، بحثا بعنوان: "محمد الهادي الحسني. فكره وأدبه".

شهادات حية:

- "... إن الحسني منذ بدأ الكتابة قبل عشرين سنة تقريبا، ظل حريصا على ثوابته التي آمن بها، وهي الإسلام ديننا، واللغة العربية لساننا، والجزائر وطننا، فهو على الرغم مما مر عليه من أزمات وتقلبات، ومآسي وصراعات، عايش بعضها، وتابع بعضها الآخر، فإنه لم يبدّل كما بدّل الحربائيون، ولم ينافق كما نافق الانتهازيون، ولم يتحوّل كما تحوّل المتذبذبون، وأحسَب أن ذلك يعود أساسا إلى صدق إيمانه، ونقاء سريرته، واتضاح رؤيته، إيمان بالله وبالثوابت الوطنية ونقاء سريرة، زكاها وصفاها الإسلام واتضاح في الرؤية لم تضبّبها غشاوة من ثقافة دخيلة، ولا أفكار هجينة" د, محمد صالح ناصر
- " وكل من عرف الحسني أو استمع إليه محدثا أو محاضرا، لا يختلف معي -فيما أزعم-على أن مقولة النقّاد "الأسلوب هو الرجل" تتجلى بصدق وحق في هذه المقالات" د. محمد صالح ناصر
- " ... لقد منح الله للحسني حاسة لا قطة وشجاعة فائقة في تناول الموضوعات الحساسة، بأسلوب الواعظ الماهر، والدارس الاجتماعي البارع، والأديب البليغ. وإذا كان لكل كاتب خط فكري يسير على هداه، فالخط الذي سار ويسير عليه الحسني هو خط مرسوم إلى قدر معلوم، وهو خط ابن باديس ومنهج جمعية العلماء، ولكن في لون جديد وثوب قشيب" د. أبو القاسم سعد الله

- " لقد وهب الله للحسني ذاكرة قوية يستحضر بها الآيات والأحاديث والأقوال والمواقف والأمثال، فهو يكتب معتمدا على رصيد كبير من المصادر، يتمثل في نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأشعار مختلف العصور، وأمثال العرب ومواقف الصحابة وعظماء التاريخ الإسلامي بل والتاريخ البشري" د.أبو القاسم سعد الله.
- " الأستاذ الحسني نسيج وحده، وأنموذج للعالِم المسلم...، يخاطِب القلوب بخُلقه الرفيع، قبل أن يخاطب العقول بقلمه البديع... اجتمع فيه ما تفرّق في غيره: علم، وتواضع، ونكتة، وصبر، وصفاء سريرة ... أدامه الله للوطن وللإسلام ذخرا وأثرا" د.محمد موسى بابا عمي.
- " لقد نجح أخونا محمد الهادي الحسني في التمكين لفتح عقول ناشئتنا ومثقّفينا وضمائر سياسيّينا بالأدّلة والبراهين، على صناع المؤامرة علينا، حتى نعدّ العدّة لشدّ حصوننا الداخل والخارج ...

وإذا كان البلاء موكّلاً بالمنطق، فإن المؤلّف الصدّيق محمد الهادي قد وهب في كتابه من المَلكات والمواهب ما لم يوهب لغيره" د. عبد الرزاق قسوم.

1- دراسة أسلوبية جمالية لمقالات الحسني

كان الأستاذ محمد الهادي الحسني يكتب مقالا كل خميس ينشر على جريدة الشروق اليومي التي ظهرت بحلة جديدة وبتوجه جديد مع مطلع الألفية الثالثة في الصفحة الأخيرة من الجريدة ، وقد مكنته الجريدة من مساحة جيدة تمكنه من بسط فكرته ،وانطلاق عبارته ، كما أنه كانت له الحرية التامة في اختيار المواضيع وعنوانها،فإضافة إلى حساسية الموضوعات التي كان يختارها ودقتها وامتلائها بالكثير من الحقائق التاريخية والمصارحات الفكرية، تميز

أسلوبه فيها بالسلاسة والبراعة ، أظهر من خلالها أدبيته الفائقة وبلاغته السامية، وقدراته التعبيرية التي لا تخلو من جمال ورونق مما كان له الدور الكبير في الإقبال الكبير الذي كانت تناله جريدة الشروق اليومي ، قصدا لمقالاته التي انجذب لها الكثيرون،وهو الذي يقول بعد عام من صدور الجريدة في شكلها الجديد،في مقال بعنوان " رشد في عام ":« لقد بلغت الشروق اليومي رشدها في أقل من عام ، ولم يكن هذا الرشد نتيجة نفخ نافخ ، أو سحر ساحر ، أو دجل دجال، ولكنه تحقق بفضل فكر سديد ،وعمل رشيد»(7)

ومما يميز لغة الحسني أنها لغة سلسة جميلة لا تستدعيك إلى أن تعود إلى المعاجم بحثا عن معانيها ودلالاتها ،ولا هي تهوي في ميزان الفصاحة والبلاغة، حيث تراها لغة متماسكة يسهل على أي قارئ امتلك من أدوات القراءة الشيء القليل أن يحيط بمضمونها ويقف على إشاراتها دون عناء وهي مع ذلك تحتفظ بذلك البهاء والتميز، فنجده مثلا يقول في مقال بعنوان:" بلغ العشرين خمس مرات " كتبه بمناسبة الاحتفال ببلوغ الشيخ سعيد بن الحاج شريفي(الشيخ عدون) القرن في مدينة القرارة :« والشيخ العدون يزن ماديا عدة كيلوغرامات ولكنه معنويا يزن جبلا فضلا وقولا وعملا وأملا، يبهرك نور وجهه ،وتأسرك ابتسامته البريئة المشرقة، وتستحوذ عليك دماثة خلقه ، تراه وسط إخوانه الشيوخ وأبنائه الأساتذة ، فتخاله شمسا ساطعة، تحيط به أقمار متلألئة ، بالرغم من عدم تميزه عنهم ملبسا ومجلسا، وهو يمتاز بالحزم اللطيف ،والصرامة اللينة، والعزة المتواضعة ،والتواضع العزيز، ولذلك لاتجد شخصا يتأفف من توجيهاته ،أو يتضايق من إرشاداته ،أو يتحرج من ملاحظاته، أو يستنكف من نصائحه»[8]

كما لا يخلو أسلوبه من تلك التعابير المثيرة التي إنماز بها فتستوقف القارئ بها مبهورا ،كقوله في المقال نفسه:« إن الشيخ العدون ليس بِرْكَة نائمة ، بل هو بَرَكَة قائمة ، وحركة دائمة»[9]

ويقول:« فهو رئيس مجلس عمي السعيد أعلى هيئة شرعية واجتماعية عند إخواننا الميزابيين يأمرهم- المجلس - بالمعروف فيأتمرون وينهاهم عن المنكر فينتهون ، ولايجدون حرجا مما قضى ويسلمون تسليما ،لأنه يحكم فيهم شريعة الله ،فيقولون – شأن المؤمنين- : سمعنا وأطعنا " ولهذا فهو يحل في جلسة واحدة قضايا تعجز عن حلها محاكمنا الفرنسية الروح والإجراءات في عدة سنوات»[10]

كما أنه كان لتعبيره من الدقة ما يجعل القارئ الفطن يعود إليها متوقفا عند أسرارها العجيبة ، فهو مثلا حينما أراد أن يعرض بجماعة من المسؤليين في إحدى الولايات التي زارها رفقة وزير الشؤون الدينية السابق محمد برضوان بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وقد رأى إعراض تلك الجماعة عن الصلاة ، فقال في مقال بعنوان" حرّاس تراث فرنسا " :« رجعنا إلى البهو ، فأراد الأخ الوزير أن يسمع ما لم يحضروا معنا في المسجد بعض المعاني المرتبطة بالمناسبة»[11] فقد عرض بهؤلاء بأسلوب جميل لا يخلو من الدقة بأن استعمل اسم الموصول " ما " المخصوص لغير العاقل ، بدلا من " مَن " المخصوص للعاقل وهو ما كان سباق الكلام يقتضيه.

كما لا يخلو أسلوبه من غناه بالجماليات التعبيرية كالجناس والطباق والمقابلة والسجع من دون تكلف أو تصنع ،إذ ليس المقصود بها التحسين أو التزيين فترى الكثير من المعاني تتسرب وراء تلك الألفاظ المتجانسة أو المسجوعة، يقول في مقال بعنوان " جنازة أدبية " بمناسبة وفاة الشاعر السانحي رحمه

الله:« ويعلم الله أنني كنت أستثقل تلك الزيارات ، لأنني كنت لا أحتمل أن أرى الشيخ السائحي على غير ما عهدته فيه من استقامة الجسم ،و متانة البنيان ،وحضور الجنان ،وذلاقة اللسان، وإشراق البيان ، حيث صار ضعيف الجسم ، واهن العظم، كليل الذاكرة ،ثقيل اللسان ، فكنت اتخيل المعاناة النفسية التي يكابدها، وكنت أتمثّله كطائر كسير الجناح لا يستطيع التحليق في السماء»[12]

ومما يلفت له في مقالات الحسني ذلك الاستحضار الجيد والتوظيف البديع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونصوص الشعر العربي والأمثال العربية الفصيحة والشعبية،ساعده في ذلك ذاكرته القوية ، وإطلاعه الواسع، وإحساسه الجميل الذي مكنه من توظيف ما يملكه من مخزون توظيفا يخدم النص بشكل بديع ، إذ لا يكاد يخلو مقال من أن يتضمن آية قرآنية أو حديثا نبويا ،أو بيتا شعريا، أو مثلا عربيا، وهو يحرص أشد الحرص على الإحالة والشرح خاصة فيما يتعلق بالشعر والأمثال مما ينبئ على أن القصد التعليمي خدمة للغة العربية كان حاضرا معه دائما في كتاباته.

فمثلا في مقال بعنوان:" خطوات في الأرض ومعان فيَ التاريخ" [13] نلقاه قد استحضر ستة أبيات شعرية وهو يجتهد في أن تكون مِن غير المشهور تداولها سعيا لبثها بين الناس، كقول الشاعر الرمني ميشال الله ويردي :

كأنما الناس آلات مبعثرة ** أخرجت منها جميل اللحن والنغم

وقول ثان: لقد غدت أمة الإسلام واهلة * منها القلوب فأضحت قصعة الأمم

لم يبقَ فيها من الإسلام وأسفا ** إلا اسمه وبها معناه لم يُسَمِ

وقول ثالث : نيام وإن ساروا ،وقوف وإن مشوا ** ركود بتجوال ، سكوت بأقوال.

بل إنه يحسن توظيف الألفاظ العامية بشكل لايؤثر على مضمون النص ولكن يضع اللفظة أو العبارة في سياق حسن يسترعي الاهتمام ويلبسه ثوبا جميلا تكون به توطئة لما يأتي من ألفاظ أخرى ومعان أسمى، فيقول:« إن السنة الإلهية في الكائنات تقضي بأن تكون الشروق اليومي ماتزال في مرحلة " الحبو " وأنها ما تزال في «القماطة » ولكن الله جلت قدرته يخرق أحيانا سننه التي لا تتحول ليرى آياته للمتوسمين ، ويبهت بها الذين« على كروشهم خلاو عروشهم»[14]

ويحدث أحيانا أن يكون عنوان مقاله بلفظ عامي أو مثل شعبي يستثير القارئ ، ليستدرجه لذلك الشرح البديع الملئ بالألفاظ الموحية، فمثلا نجده عنون مقالا له بمثل شعبي يقول:

يهدَر مسعود يحصل ، يسكت يموت بالزعاف»[15]

« عند إخواننا الجواجلة مثل يقول " يهدر مسعود يحصل ، يسكت يموت بالزعاف" أما مورد هذا المثل فهو أن شخصا ذا متربة ،اسمه مسعود اشتهت نفسه أكل الدجاج ،ولكنه لايملك مالا لشراء ما اشتهته نفسه،فوسوس إليه الشيطان أن يستغفل جاره ،ويستولي على دجاجته،وكذلك فعل،فلما أنضجتها زوجه وقدمتها له ،وجدها مهزولة حتى خيل إليه أن ريشها أثقل من لحمها.

وفي المساء اجتمع رجال القرية كعادتهم ليتحادثوا في شؤونهم ،فإذا بصاحب الدجاجة يعلمهم بضياع دجاجته وراح يصفها بما ليس فيها ،فادعى أنها سمينة ،يمكن ان تقام بها وليمة..وهنا نفد صبر مسعود فقال: يَهْدَرْ مسعود يَحْصَلْ ،يُسْكُتْ يموتْ بازْعَافْ " ، أي إن تكلم مسعود ليوضح أن الدجاجة على غير ما وصفها صاحبها ،وأنها لاتسمن ولاتغني من جوع انكشف امره ،وطولب بدفع ثمنها،وإن سكت مات غما ، لأن الحقيقة تزور أمامه.

وعليه يمكن أن نقرر انتهاء أن الأسلوب المتميز الذي انتهجه الأستاذ محمد الهادي الحسني في كتاباته الصحفية على صحائف جريدة الشروق اليومي قد كان له الدور البارز في إيصال اللغة العربية صافية نقية، وفي الحفاظ على الكثير من الإرث اللغوي الذي كان يحرص على أن يضمنه كتاباته من أشعار وأمثال وغيرها، خاصة وأن جريدة الشروق اليومي ناهز عدد قرائها المليون شخص ، وهي تصل لأغلب مناطق الوطن.

الهوامش

.1 - ا.د خليل ، محمود ، انتاج اللغة في النصوص الاعلامية، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ط1 2009 ، ص20.

2- علي الحديدي ، سلسلة أعلام العرب ، ج1 ، 65.

3 - ينظر: الوقائع المصرية، العدد الأول ، سنة1828،ص1.

4- ا.د البكاء ، محمد عبد المطلب ، لغة الاعلام بين الفصحى والعامية ، جامعة بغداد ، كلية الاعلام ، مجلة الباحث الاعلامي ، العدد الأول ،2005 ص175.

5 - د. البكاء ، محمد عبد المطلب ، لغة الاعلام دراسة نظرية - تطبيقية ، الموسوعة الصغيرة ، العدد 67 ، ط الاول 1990 ، ص20 .

6- - د.جميل شلش ، محمد، اللغة وسائل الاعلام الجماهيرية ، الموسوعة الصغيرة ، العدد 260، ط الاول 1986 ، ص33.

7- محمد الهادي الحسني،رُشد في عام،الشروق اليومي،العدد 06،2001/11/307،ص24

8- محمد الهادي الحسني،بلغ العشرين خمس مرات ،الشروق اليومي،العدد 11،2003/09/872،ص24.

9- نفسه

10- نفسه.

11- محمد الهادي الحسني،حراس تراث فرنسا ،الشروق اليومي،العدد 19،2002/12/651،ص24

12- محمد الهادي الحسني،جنازة أدبية ،الشروق اليومي،العدد 2005/07/29،ص24

13- محمد الهادي الحسني،خطوات في الأرض ومعان في التاريخ ،الشروق اليومي،العدد 10،2003/02/1300،ص24

14- محمد الهادي الحسني،رُشد في عام،الشروق اليومي،العدد 06،2001/11/307،ص24.

15- محمد الهادي الحسني،يهدر مسعود يحصل يسكت يموت بالزعاف ،الشروق اليومي،العدد 02،2003/10/890،ص24.